حلم

زعموا[1] أن من أراد تعريف الحكم لم يوفق إلى خير من هذا التعريف الذى اهتدى إليه بعض الفلاسفة الفرنسيين وهو أن الحكم تقدير العواقب والاستعداد للغد ، والتنبؤ بما سيكون . وزعموا أن وزارة من وزارات الأرض لم توفق إلى أن تفهم هذا التعريف على وجهه وتقدره حق قدره وتجعله حقيقة واقعة كالوزارة المصرية القائمة . وزعموا أن أوضح دليل على ذلك كله قد أقامته مشتركة فى إقامته مع وزارة المعارف ووزارة الأشغال . فقد أنبأتنا الصحف بأن الوزارة كانت قد قررت أن تشيد قاعة للمحاضرات فى الجامعة المصرية ، وأن تنفق فى تشييدها خمسة وسبعين ألفا من الجنيهات . وكان هذا القرار فيما تقول الصحف قد صدر قبل أن توضع الرسوم وتأخذ القاعة شكلها المنتظر . فلما وضع الرسم وتم وجود القاعة على الورق ظهر أن وجودها على الأرض يحتاج إلى خمسة وثمانين ألفا لا إلى خمسة وسبعين ألفا . وعرض الأمر على مجلس الوزراء فلم يتردد لحظة فى الموافقة على الرسم وما يحتاج إليه من النفقات .

---

(١) ١٥ - ٨ - ١٩٣٣

وليس من شك فى أن أوربا على ما فيها من جامعات وعلى مالها من بعد العهد بالجامعات ، وعلى مالها من أمل فى مستقبل الجامعات ، وعلى ثروتها الضخمة ويسارها الذى تضرب به الأمثال سينفطر قلبها غيظا وحنقا وستحسدنا حسدا يحرق الأفئدة وينضج الأكباد حين تعلم أننا سننفق هذا المقدار لإقامة هذه القاعة . فإذا أنفقنا هذا المقدار بالفعل ، وأقمنا هذه القاعة بالفعل فستذعن أوربا لنا ، وستؤمن لمصر الحديثة بعظمة لا تشبهها إلا عظمة مصر القديمة .

وكيف لا وستكون لنا قاعة تلقى فيها المحاضرات ، وتعقد فيها المؤتمرات تقام على ثلاثة آلاف متر ، وتحتوى على أربعة آلاف من الناس ، وينفق عليها نحو ثمانية ملايين من الفرنكات فيما يقول الفرنسيون ، وثمانية وثمانين ألفا من الجنيهات فيما يقول الإنجليز . ولست أدرى كيف يعبر عن هذا المقدار بحساب المارك عند الألمان وبحساب الليرة عند الإيطاليين ، وبحساب الدولار عند الرئيس روزفلت وأصحابه الأمريكيين . وسيكون فى هذه القاعة كراس لعامة الناس ، وأخرى لأوساطهم وأخرى لذوى المكانة فيهم . وستزدان بمقصورة لحضرة صاحب الجلالة الملك وبشرفات لأصحاب السمو الأمراء وغرفات لأصحاب المعالى الوزراء ، وسيكون لها من السعة والارتفاع وسيكون لها من الزخرف والإبداع ما يجعلها من أفخم إن لم تكن أفخم قاعات المحاضرات فى العالم كله .

فإذا سألت بعد ذلك عما سيلقى فيها من المحاضرات فالجواب أن هؤلاء المحاضرين الأجانب الذين ندعوهم من أوربا ، والذين يلقون

محاضراتهم فى الجمعية الجغرافية هم الذين سيلقون المحاضرات فى القاعة الجديدة وقد يشاركهم فى ذلك نفر من المصريين . فإذا سألت بعد ذلك : هل فى السوربون واكسفورد وكمبردج قاعات تشبه هذه القاعة كان الجواب : وأين تكون السوربون وأكسفورد وكمبردج من الجامعة المصرية ؟ بل أين تكون فرنسا وانجلترا من مصر ؟ فإذا سألت بعد ذلك أيهما خير : تشييد المبانى الفخمة الضخمة لإلقاء المحاضرات أم تكوين العلماء والأدباء الذين يلقون هذه المحاضرات ؟ كان الجواب إن تشييد هذه القاعة سيكون خليقا بتكوين المحاضرين ، لأن مما لا شك فيه أن هواءها سيكون مملوءا بالسحر ، لا يكاد يتنفسه البكىء حتى يصبح فصيحا ، ولا يكاد يستنشقه الجاهل حتى يستحيل عالما . وأكبر الظن أن المصريين جميعا سيدعون إلى زيارة هذه القاعة واستنشاق هوائها ، وسيصبحون علماء ، وسيصبحون جميعا محاضرين ، وستضيق هذه القاعة بعلمائنا وستضطر الجامعة المصرية إلى أن تضع سياسة لإنشاء قاعات للمحاضرات تنتشر فى مصر انتشار المصاطب والأهرام ، ويتم تنفيذها فى ثلاثين عاما كهذه السياسة المائية التى وضعت أو ستوضع فى وزارة الأشغال ، وستصبح مصر كلها جامعة ، وسيصبح العالم كله طلابا فى هذه الجامعة . فإذا علمت أن الجامعة الأزهرية تسلك مسلك الجامعة المصرية فى التشييد والبناء على الشاطىء الآخر للنيل استيقنت بأن العالم يتهيأ الآن لأزمة مصدرها التخمة العلمية ، كما يخضع الآن لأزمة مصدرها الإسراف فى الإنتاج المادى .

وستدعو مصر دول الأرض إلى مؤتمر علمى اقتصادى يحل تلك

الأزمة كما دعت انجلترا إلى مؤتمرها الاقتصادى المالى ، وسيعقد ذلك المؤتمر فى هذه القاعة التى ستشاد ، وقد توفق مصر إلى خير مما وفقت إليه إنجلترا فيحل مؤتمرها أزمة العلم ؟

ثم أشرق الصباح وأضاء بنوره ولاح ، وأفاق الذين يدبرون أمر الجامعة ، وأفاق الذين يدبرون أمر الخزانة وسألوا أنفسهم ماذا رأوا ؟ وماذا عملوا ؟ فأجابتهم الحقائق الواقعة أنهم حلموا فحاولوا تحقيق أحلامهم ثم استيقظوا فإذا هم لم يزيدوا على العبث والإسراف .

عزيز علينا أن يكون الخيال أوسع سلطانا على الجامعة والذين يتولون أمرها من العقل الذى يدعو إلى الأناة والحكمة والاعتدال والاقتصاد .